المؤتمر السنوى الأول
للعمل الخيرى والانخراط المدنى فى العالم العربى
عمان - الأردن - ٤/١٦-٢٠١١/٤/١٧

ريهام خفاجى*

شهد العمل الخيرى فى العالم العربى فى العقدين الأخيرين تحولات جمة على صعيد الفاعلين والهيكل التنظيمى والإدارى والأهداف المرحلية والآليات التنفيذية . وكان تزايد المطالب الاجتماعية ، وتنامى الاحتياجات الاقتصادية ، بالتزامن مع الانسحاب التدريجى للدولة من أداء جملة من الخدمات الاجتماعية ، حافزا على تطوير العمل الأهلى لسد هذه الفجوة المتسعة بين الحاجات والقدرات . وامتد هذا الاهتمام إلى حقل دراسات العمل الخيرى والمجتمع المدنى الذى سعى باحثوه إلى اكتشاف واقع الأنشطة الاجتماعية فى العالم العربى ، والوقوف على صيغها المؤسسية وبيئتها القانونية والسياسية ، ومحاولة بلورة حلول للتحديات التى تواجهها .

وفى سياق تدعيم الفعل الاجتماعى والأنشطة الأهلية بادر مركز چون جيرهارت للعمل الخيرى والانخراط المدنى بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، بالتعاون مع مركز بحوث الشرق الأوسط التابع لجامعة كولومبيا ، بتنظيم المؤتمر الأول للعمل الخيرى والانخراط المدنى فى العالم العربى** . وعقد المؤتمر فى عمان

* استشارية فى المؤسسات المانحة .

** First Annual Conference on Arab philanthropy and civic Engagement.

المجلة الاجتماعية القومية ، المجلد التاسع والأربعون ، العدد الثانى ، مايو ٢٠١٢ .

بالأردن يومى السادس عشر والسابع عشر من شهر إبريل عام ٢٠١١ ، ومن المنتظر تنظيم دورته السنوية الثانية فى الفترة بين العاشر وحتى الثانى عشر من يونيو ٢٠١٢ فى مقر الجامعة الأمريكية بالقاهرة . ويعنى مركز جون جيرهارت بتوثيق التوجهات المتنامية فى العمل الخيرى العربى ، وتقديم الاستشارات للمؤسسات الخيرية الناشئة والتشبيك فيما بينها .

ركز المؤتمر على استعراض التوجهات الحديثة للعمل الخيرى المؤسسى العربى ، مع متابعة الشراكات المتنامية بين المؤسسات الخيرية والقطاع الخاص بالدولة . كما ناقشت الدراسات المقدمة السياقات السياسية والأطر القانونية المحيطة بجهود العمل الخيرى فى الدول العربية . وأشار المؤتمر إلى تزايد دور الشباب فى الأعمال التطوعية ، واهتمامهم بالانخراط المدنى فى مجتمعاتهم . ولم تقتصر بحوث المؤتمر على الأوضاع داخل العالم العربى ، بل امتدت لرصد المساعى الخيرية للتجمعات العربية خارجه .

واستهل المؤتمر فعالياته بجلسة افتتاحية تحدث فيها جواد نابلسى ، وهو أحد الناشطين البارزين فى مجال العمل الخيرى ومن القيادات الشابة للثورة المصرية ، حيث عرض لتجربته فى النشاط الاجتماعى والتى قادته إلى الاطلاع على الواقع الاجتماعى والاقتصادى المتعثر ، ودفعته إلى الانضمام لصفوف الثوار ضد النظام البائد . ومن الجدير بالذكر أن نابلسى ، الذى فقد إحدى عينيه فى الثورة ، يدير عدة مشروعات خيرية فى المناطق العشوائية شرق القاهرة .

وتناولت جلسات المؤتمر التى استمرت على مدار يومين عدة محاور أساسية :

أولاً : التجارب المؤسسية للعمل الخيرى العربى

رصد المؤتمر فى عدة جلسات الصعوبات والمعوقات التى تواجه مأسسة العمل الخيرى فى الدول العربية ، واستعرض عدة نماذج لتجارب مؤسسية ، من حيث

واقعها وأهدافها وآلياتها وآفاقها . وأفردت جلسات منفصلة للتركيز على التجارب المصرية والأردنية والخليجية كل على حدة بالنظر لتنوع الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى فى هذه البيئات .

اهتمت أولى جلسات المؤتمر بالتحديات المالية والتحولات البشرية والتغيرات الإدارية التى تواجه المؤسسات الخيرية العربية . فتطرق البحث المقدم من الدكتور عطا الله خطاب ، مدير مؤسسة الرفاهة الأردنية ، إلى الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية التى تكتنف جهود إحصاء الأموال الخيرية فى العالم العربى ، استادا إلى خبرة منتدى المؤسسات العربية الداعمة ، وهو مبادرة مدنية للتشبيك بين المؤسسات الخيرية العربية . واهتمت الباحثة لولوة سافرينى برصد التحول المعرفى فى رؤية الشباب للنشاط الاجتماعى والعمل الخيرى . وفى إطار تطبيقى ، عرضت الدكتورة آلاء نصيف ، أستاذة الإدارة العامة واستشارية التنمية بالسعودية ، أنشطة جمعية الأمير ماجد بن عبدالعزيز كنموذج على تحول المؤسسات الخيرية نحو التخطيط الإستراتيجى ، والسعى لبناء القدرات الإدارية من خلال التدريب والتعلم .

وبالتركيز على الحالة المصرية فى خضم التحولات السياسية والاجتماعية الراهنة رصدت الباحثة مريم وحيد ، المحاضرة بجامعة القاهرة ، فى دراستها الاستطلاعية جهود التضامن الاجتماعى بين الشباب خلال الشهور الأولى التى أعقبت الثورة المصرية . كما استعرضت مولى حفيد ، الباحثة بمركز جون جيرهارت بالجامعة الأمريكية ، التوجهات البارزة فى مفهوم العمل الخيرى من أجل العدالة الاجتماعية فى مصر .

وقد أثبتت ليا هانت – هيندريكس فى دراستها المعنونة "الشباب والخدمات والطرق نحو الديمقراطية فى مصر" أن العمل الخيرى باعتباره المساحة غير السياسية التى تركتها النظم الاستبدادية للشباب ، كانت بمثابة فرصة للتدريب على الفعل الاجتماعى ، ولإعداد قيادات شاركت بفعالية فى الثورة المصرية .

كما خصصت جلسة لمناقشة العمل الخيرى فى الأردن ، حيث رصدت دراسة الدكتور هانى حورانى ، مدير مركز بحوث الأردن الجديد ، واقع المسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص فى البلاد . وانتقد حورانى هيمنة المبادرات الفردية وغياب المؤسسية والاقتصار على العطاء الرعائى فى هذا الصدد ، فضلاً عن العراقيل القانونية وضعف الحوافز الضريبية للشركات المتبرعة . ودعا حورانى لإعادة النظر فى التشريعات الحكومية المرتبطة بالمسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص والسعى لإيجاد مسئولية اجتماعية للقطاع الحكومى أيضا . وبالتركيز على التخطيط الاستراتيچى ، أفرد لؤى آصف ، مدير مؤسسة نهر الأردن ، دراسته لمناقشة تحول العمل الخيرى من الأهداف الرعائية إلى الأهداف الإستراتيچية ومتطلبات ذلك على الصعيدين الإدارى والمؤسسى .

وبالنظر لواقع الجاليات اللاجئة فى الأردن ، تجلى البعد الخيرى الدولى فى دراسة كارولين بلانى ، الباحثة بجامعة لندن ، حيث بحثت المؤسسات الخيرية التى أنشأتها الجالية العراقية المهاجرة إلى الولايات المتحدة لدعم الخدمات الصحية والتعليمية للاجئين العراقيين فى الأردن . واعتبرت بلانى أن هذه المؤسسات الخيرية بقدر ما قدمت العون المادى للعراقيين فى الأردن ، فقد ساعدت نظراءهم فى الولايات المتحدة على استعادة الروابط الوطنية المفقودة .

وفيما يتعلق بالعمل الخيرى الخليجى ، عرضت عائشة بقلى لجهود إحياء الأوقاف فى العمل الخيرى المعاصر بدولة الكويت فى محاولة لدحض المقولات الشائعة حول فضل النظام الوقفى فى التطور لملاءمة الاحتياجات الخيرية المعاصرة . وركزت بقلى على جهود الأمانة العامة للأوقاف فى الكويت فى مجال إحياء الأوقاف الخيرية وتطويرها فى الوقت الراهن . كما استعرضت نورا دوربل الأنشطة الخيرية فى المجتمعات الخليجية من خلال التعريف بالمبادرات الخيرية المؤسسية فى مدينة جدة بالسعودية ، وتوصيف الأطر القانونية والخدمات المقدمة منها ، ورصد الدور المتنامى للشباب والنساء فيها .

وأخيرا ، رصدت ريهام خفاجى ، الفرص والتحديات التى تواجه العمل الخيرى الخليجى نتيجة موجات العولمة المتلاحقة . وأثبتت الباحثة أن العولمة بقدر ما تفرض قيودا ثقافية واجتماعية على المجتمعات الخليجية المحافظة ، فإنها تمنح مؤسساتها الخيرية فرصا قيمة لزيادة التطوير المهنى ، ودعم التواصل الدولى ، وبالتبعية التأثير فى التوجهات البارزة للعمل الخيرى العالمى .

ثانيا : الشراكات بين المؤسسات الخيرية والقطاع الخاص والجامعات

من أجل عقد الشراكات البناءة بين القوى المجتمعية المتنوعة ، خصصت إحدى الجلسات لاستعراض تجارب مشاركة الجامعات والقطاع الخاص فى العمل الاجتماعى والجهود الخيرية . وفى هذا السياق ، تحدث الدكتور جواد فطايرى ، نائب رئيس جامعة النجاح الفلسطينية ، عن خبرة الجامعة فى شحذ جهود الطلاب للمشاركة فى الأعمال التطوعية ، وتطبيق الإدارة لسياسات منطلقة من مسئولياتها الاجتماعية فى ظل الواقع الفلسطينى المقاوم . كما خلصت دراسة الدكتورة نسرين إختر خفارى وزميلها الدكتور ماركو تافانتى من جامعة ديبول الأمريكية إلى أهمية دور الجامعات فى بناء شراكات بين القطاعات المجتمعية المختلفة ، سعيا وراء بناء القدرات البحثية من خلال استثمار العطاء الخيرى ذى الأهداف التنموية .

وانطلاقا من تجربة واقعية ، وثقت الباحثة ماهى خلاف ، استشارية التنمية والمجتمع المدنى ، نموذجا لمأسسة العمل الخيرى للقطاع الخاص فى مصر من خلال إنشاء المؤسسات الخيرية المحلية فى المدن الصناعية ، وتحديدا مدينة العاشر من رمضان . واستعرضت خلاف العطاء الخيرى للقطاع الخاص فى المدينة المشار إليها وصيغ مأسسته ، وهيكله الإدارى ، وآليات استثماره ، وفرص استمراره وتقويمه . إلا أنها أشارت إلى قيام بعض الشركات بممارسة أنشطة خيرية للتغطية على فسادها المالى والإدارى ، مما قد يقوض فرص نجاح المؤسسات الخيرية الوليدة .

وفى دراسة حالة لواقع مغاير ، قدمت سماح حامد ، مديرة مؤسسة مجموعة بالتيل ، عدة توصيات حول مأسسة المسئولية الاجتماعية للقطاع الخاص العامل فى ظروف مشابهة للواقع الفلسطينى . وعرضت تجربة شركة الاتصالات الفلسطينية بالتيل فى تطوير جهودها الرعوية باتجاه تنمية مستدامة لموظفيها وبيئتها ومواطنيها .

ثالثا : المؤسسات الخيرية ذات المرجعية الدينية

وارتباطا بواقع العالم العربى وثقافته ، احتل العمل الخيرى المستند إلى محفزات دينية مكانة بارزة ، مما استدعى بالضرورة دراسته وتمحيصه فى جلسة خاصة عقدت تحت رعاية المكتبة الرقمية للعمل الخيرى الإسلامى ، إحدى المشروعات التابعة لمركز جون جيرهارت للعمل الخيرى والانخراط المدنى . وتحدثت شيرين طرابلسى مديرة المشروع عن طموحات المكتبة فى توثيق العديد من الممارسات الخيرية فى الدول الإسلامية ، سعيا وراء تطوير فهم عميق لمفهوم العمل الخيرى الإسلامى . وفى الجلسة ذاتها ، عرض الدكتور نيكولاس تيربيستا ، أستاذ التاريخ بجامعة تورونتو الكندية ، عدة نماذج تاريخية مقارنة من الأعمال الخيرية والأنشطة المدنية فى المجتمعات الإسلامية والمسيحية فى الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والثامن عشر الميلادى .

وبالتركيز على الواقع اللبنانى متعدد الطوائف الدينية ، ركزت الدكتورة شاون فلانجن ، أستاذة الإدارة العامة بجامعة سان دييجو الأمريكية فى دراستها على دور الدين والعرق فى تحفيز عملية الخدمة الاجتماعية . وقد أجرت فلانجن من خلال هذه الدراسة العديد من المقابلات مع العاملين فى المؤسسات الخيرية السنية والشيعية والدرزية والمسيحية ، فضلاً عن المنظمات الفلسطينية والأرمينية العاملة فى لبنان ، بهدف رصد انطباعاتهم وسلوكياتهم تجاه متلقى الخدمات المنتمين لطوائفهم الدينية وأصولهم العرقية وغير المنتمين .

وفى هذا السياق أيضا، حلل عمر بورتولازى ، الباحث فى جامعة بولونيا الإيطالية ، نشأة حزب الله اللبنانى وصعوده ، وتحوله التدريجى من حركة مقاومة إلى حزب سياسى يتمتع بنظام رفاهة مكثفة ، يشتمل على عدة مستشفيات ومنظمات خيرية ومدارس وبرامج مساعدات اجتماعية . واعتبر بورتولازى أن هذا النظام الاجتماعى قد دعم تأثير الحزب على الجماهير ، كما يضمن على المدى الطويل شعبيته لدى هذه الفئات المستهدفة بخدماته .

وفى جلسة لاحقة ، رصد الدكتور مصطفى خليل ، الباحث بجامعة مانشستر البريطانية ، أساليب منظمات المجتمع المدنى ذات المرجعية الإسلامية للمساهمة فى مواجهة قضية الفقر فى مصر كجزء من محاولة الباحث للاستفادة من هذه الوسائل فى نظرية التنمية وتطبيقاتها .

رابعا : تطوير سياسات العمل الخيرى ومساءلته

تطرقت عدة دراسات إلى إشكالية بناء حقل العمل الخيرى من خلال تطوير السياسات والمساءلة . فقد اعتبرت أنجوم حقى ، المدير التنفيذى لمركز باكستان للعمل الخيرى ، أن أبرز العقبات على طريق مأسسة العمل الخيرى هى فجوة الثقة بين المعطى والمتلقى . وقدمت أنجوم برنامجا تدريبيا طوره مركزها بالتعاون مع الحكومة الباكستانية لضمان الحوكمة الجيدة والشفافية فى منظمات المجتمع المدنى المحلية .

وفيما يتعلق بتقويم الممارسات الخيرية ، رصدت داليا عباس وسارة المصرى ، الباحثتان بالجامعة الأمريكية تغطية الصحافة الغربية والعربية لأخبار المانحين والأنشطة الخيرية ، استنادا إلى دراسة كمية على مدار الأحد عشر عاما المنصرمة . وخلصت الباحثتان إلى إثارة الأعمال الخيرية للمانحين العرب للكثير من الشبهات فى الصحافة الأجنبية ، مقابل عدم اهتمام الصحافة العربية بها بالقدر الكافى .

وبالإضافة إلى العلاقة مع الإعلام ، حلل الدكتور مناع عبدالصمد أستاذ الإدارة العامة بجامعة سان دييجو ، الصلة بين الجهات التشريعية ومنظمات المجتمع المدنى بالتطبيق على الحالة اللبنانية ، ويرى عبدالصمد أنه بخلاف الحال فى معظم الدول العربية يهتم المشرعون اللبنانيون بالتباحث مع مسئولى المنظمات المدنية واستطلاع آرائهم حول العديد من القضايا المرتبطة بأنشطتهم ، فيما يعد مؤشرا إيجابيا على قوة تأثير المؤسسات الخيرية فى المجتمع المحلى فى لبنان .

خامسا : العمل الخيرى الإقليمى والدولى

تأثرا بالتداخل بين الفعل الإقليمى والحركة العالمية ، خصصت إحدى جلسات المؤتمر لعرض الرؤى العالمية حول العمل الخيرى الإقليمى العربى . وبصورة نظرية لخصت الدكتورة بولا جونسون ، مدير مركز العمل الخيرى العالمى ، تقرير "العمل الخيرى المؤسسى على مستوى العالم وهو أحدث إصدارات المركز ، بالتعاون مع المبادرة العالمية لدعم المانحين . ويزود التقرير الباحثين بمعلومات وافرة وإحصائيات حول العمل الخيرى المؤسسى فى مجموعة من بلدان العالم ، ويختبر التوجهات الإقليمية والدولية البارزة فى العمل الخيرى مع تضمينه جزءا خاصا عن العالم العربى .

وتطبيقا ، أبرزت كل من نادية رومانى استشارية المؤسسات الخيرية فى الولايات المتحدة وأشارنا ساجال مسئولة برامج مؤسسة المجتمع المفتوح الأمريكية جهود العمل الخيرى الرامية لتطوير العلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة والمجتمعات الإسلامية ، من خلال دراسة دعم المؤسسات الأمريكية للخدمات الاجتماعية فى شمال إفريقيا والشرق الأوسط ، بهدف توفير اقترابات مبتكرة لتخفيف التوتر فى العلاقات المتبادلة بين الطرفين .

لقد شجع تنامى حقل المسئولية الاجتماعية والعمل الخيرى فى العالم العربى على عقد هذا المؤتمر لتحقيق التواصل بين الباحثين وصناع القرار

والممارسين ، ودفعهم للانخراط فى تبادل معرفى بين النظرية والتطبيق ، وضمان أفضل الممارسات وجمع المعلومات لصناع القرار . وبالإضافة إلى البحوث المقدمة ، تضمن المؤتمر حلقات نقاشية خططت للتركيز على التحديات والاحتياجات فى مجال ممارسات العمل الخيرى .

واستنادا إلى هذه النقاشات والأوراق البحثية ، خرج المؤتمر بعدة توصيات هامة لتطوير العمل الخيرى والانخراط المدنى فى العالم العربى على صعيدى البحث والتطبيق . وكان من أبرز هذه التوصيات :

* السعى لتوثيق الممارسات الخيرية فى الدول العربية ، وتكوين قاعدة معلوماتية متكاملة عنها ، تمهيدا لتطويرها .
* التركيز على تحسين النظم الإدارية والمعايير المؤسسية فى الجهات الخيرية العربية .
* العمل على تحفيز المسؤولية الاجتماعية للقطاع الخاص كشريك أساسى فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية .
* الاهتمام بنشر ثقافة العمل الخيرى والتطوعى بين الشباب ، وزيادة دورهم فى مجالات الفعل الاجتماعى .
* التشبيك بين المؤسسات الخيرية العربية وبعضها البعض ، فضلاً عن مد جسور التعاون بينها وبين نظيرتها الدولية .